

تفسير سورة يونس عليه السلام - وهي مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٢﴾ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

أما الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم الكلام عليها في أوائل سورة البقرة، وقال أبو الضحى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ أى أنا الله أرى. وكذلك قال الضحاك وغيره ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ أى هذه آيات القرآن المحكم المبين وقال مجاهد ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾. قال الحسن: التوراة والإنجيل، وقال قتادة: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ قال الكتب التى كانت قبل القرآن، وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه.

وقوله ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. يقول تعالى منكراً على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر كما أخبر تعالى عن القرون الماضية من قولهم: ﴿أَبَشِّرْ يَهُودِيَّتًا﴾ [التغابن: ٦] وقول هود وصالح لقومهما: ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٣، ٦٩] وقال تعالى مخبراً عن كفار قريش أنهم قالوا: ﴿أَجْعَلِ آلَهُآءَ آلِهَةً إِلَهًا وَجِدًا إِنَّا هَذَا لَنُنَاقِئُكَ بِجَبَابٍ﴾ [ص: ٥] وقال الضحاك عن ابن عباس: لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكروا منهم فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد قال فأنزل الله عز وجل ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾. وقوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ اختلفوا فيه فقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ﴾ يقول سبقت لهم السعادة فى الذكر الأول وقال العوفى عن ابن عباس ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يقول: أجراً حسناً بما قدموا وكذا قال الضحاك والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا كقوله تعالى: ﴿يُنذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٣﴾ مَكِيدِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢-٣].

وقال مجاهد ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقهم وتسبيحهم قال: ومحمد ﷺ شفيح لهم، وكذا قال زيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقال قتادة سلف صدق عند ربهم واختار ابن جرير قول مجاهد إنها الأعمال الصالحة التى قدموها قال: كما يقال له قدم فى الإسلام، كقول حسان:

لنا القدم العليا إليك وخلفنا  
لأولنا فى طاعة الله تابع  
وقول ذى الرمة:

لكم قدم لا ينكر الناس أنها  
مع الحساب العادى طمت على البحر  
وقوله تعالى: ﴿قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أى مع أنا بعثنا إليهم رسولا منهم رجلا من جنسهم بشيراً ونذيراً ﴿قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أى ظاهر وهم الكاذبون فى ذلك.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام قبل كهذه الأيام وقيل كل يوم كالف سنة مما تعدون كما سيأتي بيانه ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ والعرش أعظم المخلوقات وسقفها.

قال ابن أبي حاتم <sup>(١)</sup> حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا أبو أسامة حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال سمعت سعدًا الطائي يقول: العرش ياقوتة حمراء، وقال وهب بن منبه خلقه الله من نوره وهذا غريب. وقوله: ﴿يُدِيرُ الْأُمْرَ﴾ أي يدبر أمر الخلائق ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا: ٣] ولا يشغله شأن عن شأن ولا تغلظه المسائل ولا يتبرم بالحق الملحنيين ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير في الجبال والبحار وال عمران والقفار ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّمَا وَسُوْدَعْمَا كُلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الآية [هود: ٦].

﴿وَمَا سَبَقْتُ مِنْ ذَرْبِهِ إِلَّا بِمَا لَهَا وَلَا حَبْرٌ فِي مِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال الدراوردي عن سعد بن إسحاق بن كعب أنه قال لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، لقيهم ركب عظيم لا يرون إلا أنهم من العرب فقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: من الجن خرجنا من المدينة أخرجتنا هذه الآية رواه ابن أبي حاتم. <sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وكقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِى﴾ [النجم: ٢٦] وقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣].

وقوله ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أيها المشركون في أمركم تعبدون مع الله إلها غيره وأنتم تعلمون أنه المتفرد بالخلق كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧] وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها. ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

يخبر تعالى أن إليه مرجع الخلائق يوم القيامة لا يترك منهم أحداً حتى يعيده كما بدأه، ثم ذكر تعالى أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَالِيَهُ﴾ [الروم: ٢٧] ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل والجزاء الأرفى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي بسبب كفرهم يعذبون يوم القيامة بأنواع العقاب من سموم وحميم وظلم من يحموم ﴿هَذَا قَلْبُ قَوْمٍ جَبِيذٍ وَعَسَاقُ ﴿٥٢﴾ وَآخِرٌ مِنْ سَكَلِهِمْ أَنْوَاجٌ﴾ [ص: ٥٧-٥٨] ﴿مَنْ يَدْعُ بِهِمْ أَلِيٌّ يَكْتُمُ بِهَا الْكُفْرَانَ يَلُودُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَالٍ﴾ [الرحمن: ٤٣-٤٤].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾

يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه وأنه جعل شعاع الصادر عن جرم الشمس ضياءً وجعل شعاع القمر نوراً، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينهما لثلاثيشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو صغيراً ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر كقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْوَةِ الْغَدِيرِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩-٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْوِيرُ الْمُبْرِزِ الْعَلِيِّ﴾، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَدَرَهُ﴾ أى القمر ﴿مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ فبالشمس تعرف الأيام وبسیر القمر تعرف الشهور والأعوام ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أى لم يخلقه عبثاً بل له حكمة عظيمة فى ذلك وحجة بالغة كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧] وقال تعالى: ﴿الْمَسِيئَةُ أَمَّا خَلَقْتُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ عَلَيْهَا تَرْجُمُونَ فَمَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦] وقوله: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أى نبين الحجج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أى تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب وإذا جاء هذا لا يتأخر عنه شيئاً كقوله تعالى: ﴿يَقْبِضُ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأمراء: ٥٤] وقال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَالرَّاقِ إِضْجَاعٍ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْوِيرُ الْمُبْرِزِ الْعَلِيِّ﴾ [الاحقاف: ١٩٦]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى من الآيات الدالة على عظمتة تعالى كما قال: ﴿وَكَايُنَ مِنْ آيَاتِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .﴾ [يوسف: ١٠٥] الآية، وقوله: ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] وقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِنْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ سَكَنٍ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سبا: ٩] وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ أَلْبَسَ﴾ [ال عمران: ١٩٠] أى العقول، وقال ههنا ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أى عقاب الله وسخطه وعذابه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا فِيهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

يقول تعالى مخبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون فى لقاء الله شيئاً ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأننوا إليها أنفسهم. قال الحسن: والله ما زينها ولا رفعوها حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها والشرعية فلا يأمرون بها فإن ماوهم يوم معادهم النار جزاء على ما كانوا يكسبون فى دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام مع ما هم فيه من الكفر

بالله ورسوله واليوم الآخر .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَّمَ وَءَاخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ لَقَدْ نَدَوْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وامتثلوا ما أمروا به فعملوا الصالحات بأنه سيهديهم بإيمانهم ، يحتمل أن تكون الباء ههنا سببية فتقديره بسبب إيمانهم في الدنيا يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم حتى يجوزوه ويخلصوا إلى الجنة، ويحتمل أن تكون للاستعانة كما قال مجاهد في قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ قال: يكون لهم نورًا يمشون به، وقال ابن جريج في الآية: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة إذا قام من قبره يعارض صاحبه ويشيره بكل خير فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عمك فيجعل له نورًا من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلزم صاحبه ويلأزه حتى يقذفه في النار، وروى نحوه عن قتادة مرسلًا فاه أعلم، وقوله: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَّمَ وَءَاخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ لَقَدْ نَدَوْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أى هذا حال أهل الجنة. قال ابن جريج أخبرت أن قوله: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ قال: إذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعوهم فيأتيهم الملك بما يشتهونه فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله: ﴿وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَّمَ﴾ قال فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ لَقَدْ نَدَوْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقال مقاتل بن حيان: إذا أراد أهل الجنة أن يدعوا بالطعام قال أحدهم ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ قال فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم مع كل خادم صحيفة من ذهب فيها طعام ليس في الأخرى قال فيأكل منها كلهن، وقال سفيان الثوري: إذا أراد أحدهم أن يدعو بشيء قال ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ وهذه الآية فيها شبه من قوله: ﴿بِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّتًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤] . وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْيِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦] وقوله: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّجْمِ إِذَا تَوَلَّىٰ سَازِجًا﴾ [الرحم: ٢٣-٢٤] ، وقوله ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ لَقَدْ نَدَوْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا فيه دلالة على أنه تعالى هو المحمود أبدًا، المعبود على طول المدى، ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره وفي ابتداء كتابه وعند ابتداء تنزيله حيث يقول تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١] ﴿لَقَدْ نَدَوْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١] إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها وأنه المحمود في الأول والآخرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، في جميع الأحوال ولهذا جاء في الحديث: إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس<sup>(١)</sup> . وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم فتكرر وتعاد وتزداد فليس لها انقضاء ولا أمد فلا إله إلا هو ولا رب سواه .

(١) مسلم (٢٨٣٥)، المسند (١٤٣٥٥)، من حديث جابر بن عبد الله .

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنذُرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك فهذا لا يستجيب لهم والحالة هذه لطفًا ورحمة كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم أو لأولادهم بالخير والبركة والنعاء ولهذا قال: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ الآية، أي لو استجاب لهم كلما دعوه به في ذلك لأهلكهم ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا حاتم بن إسماعيل حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو حذرة عن عبادة بن الوليد حدثنا جابر قال: قال رسول الله ﷺ «لا تدعوا على أنفسكم، لا تدعوا على أولادكم لا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم» ورواه أبو داود<sup>(١)</sup> من حديث حاتم بن إسماعيل به. قال البزار وتفرد به عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري لم يشاركه أحد فيه وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ الآية [الإسراء: ١١]، وقال مجاهد في تفسير هذه الآية، ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ الآية، هو قول الإنسان لولده أو ماله إذا غضب عليه: اللهم لا تبارك فيه والعنه. فلو يعجل لهم الاستجابة في ذلك ما يستجاب لهم في الخير لأهلكهم.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسه الشر كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَوَدُّ دُعَاؤَ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١] أي كثير وهما في معنى واحد وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها وأكثر الدعاء عند ذلك فدعا الله في كشفها وزوالها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه وفي جميع أحواله فإذا فرج الله شدته وكشف كربته أعرض ونأى بجانبه وذهب كأنه ما كان به من ذلك شيء ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ ثم ذم تعالى من هذه صفة وطريقته فقال: ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فأما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد فإنه مستثنى من ذلك كقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هود: ١١] وكقول رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»<sup>(٢)</sup>.



(١) صحيح: أبو داود (١٥٣٢).

(٢) صحيح: مسلم (٢٩٩٩)، أحمد (١٨٤٥٥)، (١٨٤٦٠)، (١٨٤٦٠)، (٢٣٤٠٦)، (٢٣٤١٢) من حديث صهيب.

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

أخبر تعالى عما أحل بالقرون الماضية في تكذيبهم الرسل فيما جاء وهم به من البينات والحجج الواضحات، ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم وأرسل إليهم رسولا لينظر طاعتهم له، واتباعهم رسوله وفي صحيح مسلم<sup>(١)</sup> من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء» وقال ابن جرير<sup>(٢)</sup> حدثني المثنى حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة فهد، أنبأنا حماد عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عوف بن مالك قال لأبي بكر رأيت فيما يرى النائم كأن سيّا دلى من السماء فانتشط رسول الله ﷺ ثم أعيد فانتشط أبو بكر ثم ذرع الناس حول المنبر ففضل عمر بثلاث أذرع إلى المنبر فقال عمر: دعنا من رؤياك لا أرب لنا فيها فلما استخلف عمر قال: يا عوف رؤياك؟ قال وهل لك في رؤياي من حاجة أو لم تنتهني؟ قال ويحك إنى كرهت أن تنعى لخليفة رسول الله ﷺ نفسه فقص عليه الرؤيا حتى إذا بلغ ذرع الناس إلى المنبر بهذه الثلاث الأذرع قال: أما إحداهن فإنه كان خليفة. وأما الثانية فإنه لا يخاف في الله لومة لائم، وأما الثالثة فإنه شهيد، قال: فقال يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ فقد استخلفت يا ابن أم عمر فانظر كيف تعمل؟ وأما قوله فإني لا أخاف في الله لومة لائم فما شاء الله، وأما قوله: شهيد فإني لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به؟

﴿وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِشَرِّهِ إِنْ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّايَ نَفْسِي إِنْ أَسْبَحُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَإِنِّي لَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

يخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركى قريش الجاحدين المعرضين عنه أنهم إذا قرأ عليهم الرسول ﷺ كتاب الله وحججه الواضحة قالوا له: ﴿أَتَيْتَ بِشَرِّهِ إِنْ غَيْرَ هَذَا﴾ أى رد هذا وجئنا بغيره من نمط آخر أو ﴿بَدَّلَهُ﴾ إلى وضع آخر قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّايَ نَفْسِي﴾ أى ليس هذا إلى إنما أنا عبد مأمور ورسول مبلغ عن الله ﴿إِنْ أَسْبَحُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَإِنِّي لَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ثم قال محتجا عليهم فى صحة ما جاءهم به: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ أى هذا إنما جئتمكم به عن إذن الله لى فى ذلك ومشيبته وإرادته، والدليل على أنى لست أتقول من عندى ولا افتريته أنكم عاجزون عن معارضته وأنكم تعلمون صدقى وأمانتى منذ نشأت بينكم إلى حين بعثنى الله عز وجل لا تنتقدون عليّ شيئا نغصصونى به ولهذا قال: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أى أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل؟ ولهذا

(١) مسلم (٢٧٤٢).

(٢) تفسير الطبري (٩٤/١١) فى سنده زيد بن عوف، تكلم فيه.

لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ومن معه فيما سأله من صفة النبي ﷺ<sup>(١)</sup> قال هرقل لأبي سفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان فقلت لا، وقد كان أبو سفيان إذ ذاك رأس الكفرة وزعيم المشركين ومع هذا اعترف بالحق - والفضل ما شهدت به الأعداء - فقال له هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة: بعث الله فينا رسولا نعرف صدقه ونسبه وأمانته، وقد كانت مدة مقامه عليه السلام بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة، وعن سعيد بن المسيب ثلاثًا وأربعين سنة، والصحيح المشهور الأول.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾  
يقول تعالى لا أحد أظلم ولا أعتى ولا أشد إجرامًا ﴿وَمِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وتقول على الله وزعم أن الله أرسله ولم يكن كذلك فليس أحد أكبر جرما ولا أعظم ظلما من هذا، ومثل هذا لا يخفى أمره على الأغبياء فكيف يشتهه حال هذا بالأنبياء؟ فإن من قال هذه المقالة صادقًا أو كاذبًا فلا بد أن الله ينصب عليه من الأدلة على بره أو فجوره ما هو أظهر من الشمس، فإن الفرق بين محمد ﷺ وبين مسيلمة الكذاب لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى وبين نصف الليل في حندس الظلماء، فمن سيما كل منهما وأفعاله وكلامه يستدل من له بصيرة على صدق محمد ﷺ وكذب مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي.

قال عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس فكنت فيمن انجفل، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب قال: فكان أول ما سمعته يقول: «يا أيها الناس أفسحوا السلام، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون الجنة بسلام»<sup>(٢)</sup> ولما قدم وفد ضمام بن ثعلبة على رسول الله ﷺ في قومه بنى سعد بن بكر قال لرسول الله فيما قال له من رفع هذه السماء؟ قال: «الله» قال: ومن نصب هذه الجبال قال «الله» قال: ومن سطح هذه الأرض؟ قال: «الله» قال: فبالذي رفع السماء ونصب هذه الجبال وسطح هذه الأرض آله أرسلك إلى الناس كلهم؟ قال: «اللهم نعم» ثم سأله عن الصلاة والزكاة والحج والصيام، ويحلف عند كل واحدة هذه اليمين ويحلف له رسول الله ﷺ فقال له: صدقت، والذي بعثك بالحق لا أزيد على ذلك ولا أنقص<sup>(٣)</sup>، فاكتمى هذا الرجل بمجرد هذا، وقد أيقن بصدقه صلوات الله وسلامه عليه بما رأى وشاهد من الدلائل الدالة عليه. كما قال حسان بن ثابت:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأنيك بالخبر  
وأما مسيلمة فمن شاهده من ذوى البصائر علم أمره لا محالة بأقواله الركيكة التي ليست بفضيحة، وأفعاله غير الحسنة بل القبيحة، وقرآنه الذي يخلد به في النار يوم الحسرة والفضيحة، وكم من فرق بين قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى آخرها.

(١) البخاري (٧).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٤٨٧)، وابن ماجه (١٣٣٤).

(٣) البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢) من حديث أنس.

وبين علاك مسيلمة قبحة الله ولعنه . يا ضفدع بنت ضفدعين ، نعى كم تتقين لا الماء تكلدرين ، ولا الشارب تمنعين . وقوله قبحة الله : لقد أنعم الله على الحبلى ، إذ أخرج منها نسمة تسمى ، من بين صفاق وحشى . وقوله خذره الله فى نار جهنم . وقد فعل : الفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلقوم طويل ، وقوله أبعد الله من رحمته : والعاجنات عجنا ، والمخابزات خبزاً ، واللائعات لقمًا ، إهالة وسمنا ، إن قريشاً قوم يعتدون ، إلى غير ذلك من الهذيان والخرافات التى يأنف الصبيان أن يلفظوا بها إلا على وجه السخرية والاستهزاء ، ولهذا أرغم الله أنفه ، وشرب يوم حديقة الموت حفته ، ومزق شمله . ولعنه صحبه وأهله . وقدموا على الصديق تائبين ، وجاءوا فى دين الله راغبين فسألهم الصديق خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ورضى عنه أن يقرءوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة لعنه الله فسألوه أن يعفيهم من ذلك فأبى عليهم إلا أن يقرءوا شيئاً منه ليسمعه من لم يسمعه من الناس فيعرفوا فضل ما هم عليه من الهدى والعلم فقرءوا عليه من هذا الذى ذكرناه وأشباهه ، فلما فرغوا قال لهم الصديق رضى الله عنه : ويحكم أين كان يذهب بعقولكم؟ والله إن هذا لم يخرج من إل .

وذكروا أن وفد عمرو بن العاص على مسيلمة وكان صديقاً له فى الجاهلية وكان عمرو لم يسلم بعد فقال له مسيلمة : ويحك يا عمرو وماذا أنزل على صاحبكم يعنى رسول الله ﷺ فى هذه المدة؟ فقال : لقد سمعت أصحابه يقرءون سورة عظيمة قصيرة فقال : وما هي؟ فقال ﴿ وَالصَّٰرِئَ إِنَّا إِنَّا لَنَنبِئُكَ بِئِىَّ خَبْرٍ ﴾ إلى آخر السورة ففكر مسيلمة ساعة ثم قال وأنا قد أنزل عليّ مثله فقال وما هو؟ فقال : يا وير يا وير ، إنما أنت أذنان وصدر ، وسائرک حقر نقر . كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أنى أعلم أنك لتكذب . فإذا كان هذا من مشرك فى حال شركه لم يشتبه عليه حال محمد ﷺ وصدقه ، وحال مسيلمة لعنه الله وكذبه ، فكيف بأولى البصائر والنهى ، وأصحاب العقول السليمة المستقيمة والمجما ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيَّ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُولٌ مِّثْلُ مَا أَزَلَّ اللَّهُ ﴾ [الأنعام : ٩٣] وقال فى هذه الآية الكريمة ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّكُمْ لَا يُقْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ وكذلك من كذب بالحق الذى جاء به الرسل . وقامت عليه الحجج ، لا أحد أظلم منه كما جاء فى الحديث «أعتى الناس على الله رجل قتل نبياً أو قتله نبي» (١)

﴿ وَإِذْ يُدْعَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَشْفَعُونَ لِلَّهِ بِمَا لَا يَشَاءُ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِنَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله فأخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئاً ، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبداً

(١) صحيح : للمسد (٣٨٥٨) ، من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً بلفظ : «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبي وإمام ضلالة وممثل من المثلىن .

ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَنتُنَّ تُوتُونَ اللَّهَ يَمَّا لَا يَمَلُكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾

وقال ابن جرير: معناه أنتخبون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض؟ ثم نزه نفسه عن شركهم وكفرهم فقال: ﴿سُبْحٰنَكَ وَمَلَكًا عَنَّا يَشْرِكُونَ﴾ ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس كائن بعد أن لم يكن وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وهدت الأصنام والأنداد والأوثان فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة ﴿لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُتِنَ بَيْنَهُم فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، أي لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معدود لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعدت الكافرين.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِّن رَّبِّي لَقَدْ قُلْنَا إِنَّمَا الَّتِي بِلَهُ فَاَنْتَظِرُونَ﴾  
إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾

أي ويقول هؤلاء الكفرة الملحدون المكذبون المعاندون: لولا أنزل على محمد آية من ربه يعنون كما أعطى الله ثمود الناقة أو أن يحول لهم الصفا ذهبًا أو يزيح عنهم جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأنهارًا أو نحو ذلك مما الله عليه قادر ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله كما قال تعالى: ﴿يَتَارَكُ الَّذِينَ إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١٠-١١] وكقوله: ﴿وَمَا مَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولَىٰ وَآيَاتِنَا تُمُودَ النَّاقَةِ مُبْرِمَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْفِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]، يقول تعالى: إن سنتي في خلقي أني إذا أتيتهم ما سألوها، فإن آمنوا وإلا عاجلتهم بالعقوبة. ولهذا لما خير رسول الله ﷺ بين أن يعطى ما سألوها فإن أجابوا وإلا عوجلوا وبين أن يتركهم وينظرهم اختار إنظارهم كما حلم عنهم غير مرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قال تعالى إرشادًا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجواب عما سألوها: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي الأمر كله لله وهو يعلم العواقب في الأمور.

﴿فَاَنْتَظِرُونَ﴾  
إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي إن كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتهم فانتظروا حكم الله في وفيكم. هذا مع أنهم قد شاهدوا من معجزاته ﷺ أعظم مما سألوها حين أشار بحضرتهم إلى القمر ليلة إيداره فانشق باثنتين فرقة من وراء الجبل وفرقة من دونه. وهذا أعظم من سائر الآيات الأرضية مما سألوها ولم يسألوا، ولو علم الله منهم أنهم سألوها ذلك استرشادًا وتثبيتًا لأجابه، ولكن علم أنهم إنما يسألون عنادًا وتعنتًا فتركهم فيما رابهم وعلم أنهم لا يؤمن منهم أحد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ بَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَتَلَكَّةَ لَكَفَّهُمْ التَّوَنَ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يَلْعَنُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَصْحَابَهُمْ يَهْتَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، ولما فيهم من المكابرة كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُؤُونَ﴾ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّشْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤-١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا

عَلَيْكَ كِتَابًا فِي فِرْعَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِيهَا مُذًا مُّزِيدًا إِلَّا سِجْرًا مِّنْ عِندِ رَبِّكَ فَتَرَىٰ كَيْفَ يُؤَنِّسُ لَكَ الْبَحْرَ مُتَتَابًا ۚ إِنَّ مِن دُونِ الْبَحْرِ لَمَدِينًا ۚ وَإِذْ يُوحِي بِنُوحٍ إِلَىٰ بَنِيهِ أَنْ اقْبِلْ مَعَنَا وَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ ۚ وَذُرِّيَّةَ هَارُونَ وَآلِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذُوا صُلْحًا بَيْنَهُمْ أَن لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُنَا وَإِنَّ آلِهَتِنَا آلِهَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ ۚ قَالُوا لَنْ نَبْرُدَّ لَكَ عِبْدًا إِنَّكَ مَا تَسْعَىٰ بِنُحُورِنَا ۚ وَمَا تَكُونُ مِنَّا بِأَعْيُنِنَا ۚ قَالُوا لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَكْفُرُوا بِآيَاتِهِ ۚ وَإِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ نَارِ السُّورِ أَنْ أُنذِرِ الْكَافِرِينَ ۚ وَذُرِّيَّةَ نَارِ الْفِجَارِ ۚ وَذُرِّيَّةَ أَيْمَانَ الْبِغْيَةِ ۚ وَإِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ نَارِ السُّورِ أَنْ أُنذِرِ الْكَافِرِينَ ۚ وَذُرِّيَّةَ أَيْمَانَ الْبِغْيَةِ ۚ وَإِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ نَارِ السُّورِ أَنْ أُنذِرِ الْكَافِرِينَ ۚ وَذُرِّيَّةَ أَيْمَانَ الْبِغْيَةِ ۚ

﴿وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِن بَعْدِ ضَرَّاهُمْ مَسَّتَهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي مَائِنَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿١٠﴾ هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتَ فِي الْعَلَاةِ وَجَرِينًا يَبُوحُ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَتَرَىٰ بِهَا جَهَنَّمَ تَابِعًا رِيحًا عَاصِفًا وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيبْنَا مِن هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَجْمَعْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

يخبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم كالرخاء بعد الشدة، والخصب بعد الجذب، والمطر بعد القحط ونحو ذلك ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي مَائِنَاتِنَا﴾ قال مجاهد: استهزاء وتكذيب كقوله: ﴿وَلِإِن سَأَلْتُمُ النَّاسَ عَنِ النَّارِ لَأَنبَأَنَّكُمْ عَنْهَا بِشَيْءٍ وَرَأَىٰ عَنِ الْعَالَمِ الْآخِرَةَ﴾ وقال: ﴿وَلِإِن سَأَلْتُمُ النَّاسَ عَنِ النَّارِ لَأَنبَأَنَّكُمْ عَنْهَا بِشَيْءٍ وَرَأَىٰ عَنِ الْعَالَمِ الْآخِرَةَ﴾ وفي الصحيح<sup>(١)</sup> أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح على إثر سماء كانت من الليل أي مطر ثم قال: «هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «قال: أصبح من هبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بى كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بى مؤمن بالكوكب» وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أى أشد استدراجا وإمهالا حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بمعذب وإنما هو فى مهلة ثم يؤخذ على غرة منه والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله ويحسونه عليه ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة فيجازيه على الجليل والحقير والتقير والقطمير.

ثم أخبر تعالى أنه ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أى يحيطكم ويكلوكم بحراسته ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتَ فِي الْعَلَاةِ وَجَرِينًا يَبُوحُ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَتَرَىٰ بِهَا جَهَنَّمَ﴾ أى بسرعة سيرهم رافقين فيبينما هم كذلك إذ ﴿جَهَنَّمَ﴾ أى تلك السفن ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أى شديدة ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أى اغتلم البحر عليهم ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أى هللكوا ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أى لا يدعون معه صنما ولا وثنا بل يفرودونه بالدعاء والابتهال كقوله تعالى: ﴿وَلِإِن سَأَلْتُمُ النَّاسَ عَنِ النَّارِ لَأَنبَأَنَّكُمْ عَنْهَا بِشَيْءٍ وَرَأَىٰ عَنِ الْعَالَمِ الْآخِرَةَ﴾ وقال ههنا: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيبْنَا مِن هَذِهِ﴾ أى هذه الحال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أى لا نشرك بك أحدا ولنفردك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء ههنا، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَجْمَعْتَهُمْ﴾ أى من تلك الورطة ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ﴾ أى كان لم يكن من ذلك شيء ﴿كَأَن لَّو يَدْعُنَا إِلَىٰ صَوْلَانٍ﴾ لئونس: ١٢ ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ أى إنما يذوق وبال هذا البغى أنتم أنفسكم ولا تضررون به أحدا غيركم، كما جاء فى الحديث «ما من ذئب أجدر أن يعجل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعه

(١) البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١)، من حديث زيد بن خالد الجهني.

الرحم<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أى إنما لكم متاع فى الحياة الدنيا الدينية الحقيقية ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرَّجَمَكُمْ﴾ أى مصيركم ومآلكم ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ﴾ أى فنخبركم بجميع أعمالكم ونوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠﴾﴾  
وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾﴾

ضرب تبارك وتعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذى اخرجته الله من الأرض، بما أنزل من السماء، مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك، ﴿حَتَّىٰ إِنَّمَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أى زينتها الغانية ﴿وَأَزَّيَّنَتْ﴾ أى حسنت بما خرج من رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان ﴿وَرَضِيَ أَهْلُهَا﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰ عَلَيْهَا﴾ أى على جذاذها وحصادها، فبينما هم كذلك إذ جاءت صاعقة أو ريح شديدة باردة، فأبيست أوراقها وأتلفت ثمارها، ولهذا قال تعالى: ﴿أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أى يبسا بعد الخضرة والنضارة ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ أى كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك. وقال قتادة: كان لم تغن كأن لم تنعم، وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن.

ولهذا جاء فى الحديث «يوتى بأنعمة أهل الدنيا فيغمس فى النار غمسة فيقال له هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا، ويوتى بأشد الناس عذابا فى الدنيا فيغمس فى النعيم غمسة ثم يقال له هل رأيت بؤسا قط؟ فيقول لا»<sup>(٢)</sup> وقال تعالى إخبارا عن المهلكين: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينًا كَأَن لَّمْ يَسْنُوا فِيهَا﴾ [مود: ٩٤-٩٥] ثم قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الأعراف: ٣٢] أى نبين الحجج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعتبرون بهذا المثل فى زوال الدنيا عن أهلها سريعا مع اغترارهم بها، وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها وتفتتها عنهم، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بنبات الأرض فى غير ما آية من كتابه العزيز، فقال فى سورة الكهف: ﴿وَأَضْرَبَ لَهم مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَيْبًا تَدْرُهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] وكذا فى سورة الزمر والحديد، يضرب الله بذلك مثل الحياة الدنيا كماء.

وقال ابن جرير: حدثنى الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت مروان يعنى ابن الحكم، يقرأ على المنبر: ﴿وَأَزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰ عَلَيْهَا﴾، وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها. قال قد قرأتها وليست فى المصحف، فقال عباس بن عبد الله بن عباس هكذا يقرؤها ابن عباس، فأرسلوا

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١٣)، وابن ماجه (٤٢١١)، وأحمد (١٩٨٦١) من حديث أبى بكره.  
(٢) مسلم برقم (٢٨٠٨).



عفان، أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنْجَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: وما هو ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا من النار - قال - فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم» وهكذا رواه مسلم وجماعة من الأئمة من حديث حماد بن سلمة به. وقال ابن جرير: (١) أخبرنا يونس، قال أخبرنا ابن وهب، قال أخبرني شبيب عن أبان عن أبي تميم الهجيمي، أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله ﷺ «إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادى يا أهل الجنة - بصوت يسمع أولهم وآخرهم - إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل» رواه أيضاً ابن أبى حاتم من حديث أبى بكر الهذلى عن أبى تميم الهجيمي به.

وقال ابن جرير أيضاً (٢) حدثنا ابن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ فى قوله: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنْجَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال «الزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل» وقال أيضاً (٣) حدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبى سلمة سمعت زهيراً عن سمع أبا العالية حدثنا أبى بن كعب أنه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنْجَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل» ورواه ابن أبى حاتم أيضاً من حديث زهير به. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرَهُمْ يُرَوُّهُمْ فَتَرُّ﴾ أى قنم وسواد فى عرصات المحشور كما يعترى وجوه الكفرة الفجرة من القفرة والغبرة ﴿وَلَا ذَلَّةٌ﴾ أى هوان وصغار أى لا يحصل لهم إهانة فى الباطن ولا فى الظاهر بل هم كما قال تعالى فى حقهم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ نَّارٍ يَنْزِلُونَ﴾ [الإنسان: ١١] أى نضرة فى وجوههم وسروراً فى قلوبهم، جعلنا الله منهم فضله ورحمته أمين.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ آتِلٍ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

لما أخبر تعالى عن حال السعداء الذين يضاعف لهم الحسنات ويزدادون على ذلك عطف بذكر حال الأشقياء فذكر تعالى عدله فيهم وأنه يجازيهم على السيئة بمثلها لا يزيدهم على ذلك ﴿وَتَرْهَقُهُمْ﴾ أى تعتربهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها كما قال: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ بِعُرْسُونَ عَلَيْهَا حَنُوشِينَ مِنَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَكَ مِنْ طَرْفِ حَافِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿١١﴾ مُهْطِينَ مَنِّينَ رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿١٢﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴿[إبراهيم: ٤٢-٤٤]، وقوله: ﴿مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾ أى مانع ولا واق يقبهم العذاب كقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَىٰ لَنَا الْفَرُّ كُلًّا لَا نَرَىٰ لَكَ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ لِتَسْتَرْقَىٰ﴾ [العباس: ١٠-١٢]. وقوله: ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ آتِلٍ مُظْلِمًا﴾ إخبار عن سواد وجوههم فى الدار الآخرة كقوله تعالى:

(١) ضعيف جداً: تفسير الطبري (١١/١٠٥) فى سنده أبان بن أبى عياش، وهو متروك.

(٢) تفسير الطبري (١١/١٠٧).

(٣) تفسير الطبري (١١/١٠٧).

﴿يَوْمَ يَبْسُ وَجُوهٌ وَنَسُودُ وَجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَدُوا فَوَجَّهْتُمْ وَجُوهَهُمْ أَكْرَمْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْتَيْضَتْ وَجُوهُهُمْ فَبِهِ رَحْمَةٌ لِّقَوْلِهِمْ فِيهَا ذُوقُوا لِقَائِكُمْ وَقُولَهُ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّشْرِقَةٌ سَاهِيَةٌ شَتَّىٰ تَبْتِغِي رُؤُوسَهُمْ وَيَوْمَئِذٍ عَتِيَٰ عُنُقُهُمْ رُفْعُهُمْ فَرَّءُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ الْفَجْرَةُ﴾ [جس: ٣٨-٤٢].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِمْيَامًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فزَلَلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِتَانًا تَعْبُدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٤٨﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتُرُونَ﴾

يقول تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أى أهل الأرض كلهم من جن وإنس وبر وفاجر كقوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الکهف: ٤٧] ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ أى الزموا أنتم وهم مكاننا معنا امتازوا فيه عن مقام المؤمنين كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَرَىٰ الْيَوْمَ آيَاتِنَا الضَّخِيمُونَ﴾ [يس: ٥٩] وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّتُونَ﴾ [الروم: ١٤] وفى الآية الأخرى ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْنَعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] أى يصيرون صاعدين وهذا يكون إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ولهذا قيل ذلك يستشفع المؤمنون إلى الله تعالى أن يأتى لفصل القضاء ويريحنا من مقامنا هذا، وفى الحديث الآخر «نحن يوم القيامة على قوم فوق الناس»<sup>(١)</sup> وقال الله تعالى فى هذه الآية الكريمة إخبارًا عما يأمر به المشركين وأولادهم يوم القيامة ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فزَلَلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِتَانًا تَعْبُدُونَ﴾ أنهم أنكروا عبادتهم ونهروا منهم كقوله: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [روم: ٨٢] وقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَإِذَا ضَلَّتْ سُلُوكُهُمْ مِنْ دُونِ أَمْرِ اللَّهِ لَمْ يُسْتَجِيبْ لَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِيلُونَ وَإِذَا حُيِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الاحقاف: ٥-٦] وقوله فى هذه الآية إخبارًا عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابديهم عند ادعائهم عبادتهم: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ﴾ أى ما كنا نشعر بها ولا نعلم بها، وإنما كنتم تعبدوننا من حيث لا ندرى بكم والله شهيد بيننا وبينكم أنا ما دعوناكم إلى عبادتنا ولا أمرناكم بها ولا رضينا منكم بذلك.

وفى هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم ولا يفنى عنهم شيئًا، ولم يأمرهم بذلك ولا رضى به ولا أراده بل تبرأ منهم فى وقت أحوج ما يكونون إليه وقد تركوا عبادة الحى القيوم السميع البصير القادر على كل شىء العليم بكل شىء، وقد أرسل رسله وأنزل كتبه أمرًا بعبادته وحده لا شريك له ناهيًا عن عبادة ما سواه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلٰوةَ فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الانبيا: ٢٥].

وقال: ﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَعْمَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الْإِلَهَةَ يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] والمشركون أنواع وأقسام كثيرون قد ذكرهم الله فى كتابه وبين أحوالهم وأقوالهم ورد عليهم فيما هم فيه أنتم رد، قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أى فى موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْرَارُ﴾ [الطارق: ٩] وقال تعالى:

(١) صحيح: المسند (١٤٣١١)، من حديث جابر، ومسلم (١٩١) من حديث جابر موقوفًا ولكنه فى حكم المرفوع.

﴿يَبُذُّ الَّذِينَ يَوْمَهُم بِمَا قَدَّمُوا وَالْأَمْرُ﴾ [النبأ: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤] وقد قرأ بعضهم «هَذَا لِكَ تَلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ» وفسرها بعضهم بالقراءة، وفسرها بعضهم بمعنى تتبع ما قدمته من خير وشر وفسرها بعضهم بحديث «تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت»<sup>(١)</sup> الحديث، وقوله: ﴿وَرُدُّوْا إِلَىٰ أَلوهِ مَوْلَانَهُمْ الْحَقُّ﴾ أى ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل ففصلها وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ﴿وَمَنْ لَّهُمْ﴾ أى ذهب عن المشركين ﴿مَّا كَانُوا يَمْتَرُونَ﴾ أى ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لَعْنُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ إِلَهًا فَقَادًا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالَةُ فَأَلَيْكُمْ تَصْرُوفُ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ لِرَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الإله فقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أى من ذا الذى ينزل من السماء ماء المطر فيشق الأرض شقاً بقدرته ومشيئته فيخرج منها ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غَلِيًّا وَوَعْدَائِقَ وَأَنْبًا﴾ [عبس: ٢٧-٣١] ﴿أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ﴾ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَكُمْ﴾ [الملك: ٢١] وقوله: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أى الذى وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها كقولته تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّهُ لَدِينُنَا لَنَسَأُكُمْ وَأَجْمُرِكُمْ وَنَحْمُكُمْ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَدَأُ﴾ [الأنعام: ٤٦] وقوله: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَمَنْ يُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أى بقدرته العظيمة ومنته العميمة، وقد تقدم ذكر الخلاف فى ذلك وأن الآية عامة فى ذلك كله وقوله: ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ أى من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وهو المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿يَتَنَبَّأُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فالملك كله العلوى والسفلى وما فيهما من ملائكة وإنس وجان فقرون إليه عبيد له خاضعون لديه ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أى: هم يعلمون ذلك ويعترفون به.

﴿فَقُلْ أَفَلَا لَعْنُونَ﴾ أى أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بأرائكم وجهلكم وقوله: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الآية أى فهذا الذى اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم والحكم الحق الذى يستحق أن يفرد بالعبادة ﴿فَمَادَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالَةُ﴾ أى فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد لا شريك له ﴿فَأَنَّ تَصْرُوفَهُ﴾ أى فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذى خلق كل شيء والمتصرف فى كل شيء، وقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ لِرَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أى كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف فى الملك وحده الذى بعث رسله بتوحيده، فلماذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء

(١) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة.



ومبيتا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل وقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أى وبيان الأحكام والحلال والحرام بيانا شافيا كافيا حقاً لا مريية فيه من الله رب العالمين كما تقدم فى حديث الحارث الأعور عن على بن أبى طالب: «فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وفصل ما بينكم» أى خبر عما سلف وعما سيأتى وحكم فيما بين الناس بالشرع الذى يحبه الله ويرضاه. وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلْعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أى إن ادعيتم وافتريتم وشككتكم فى أن هذا من عند الله وقتلتم كذباً وميتاً إن هذا من عند محمد فمحمد بشر مثلكم وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن فاتوا أنتم بسورة مثله، أى من جنس هذا القرآن واستعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من إنس وجان.

وهذا هو المقام الثالث فى التحدى فإنه تعالى تحداهم ودعاهم إن كانوا صادقين فى دعواهم أنه من عند محمد فلتعارضوه بنظير ما جاء به وحده واستعينوا بمن شئتم وأخبر أنهم لا يقدرون على ذلك ولا سبيل لهم إليه فقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال فى أول سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلْعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣] ثم تنازل إلى سورة فقال فى هذه السورة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلْعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وكذا فى سورة البقرة وهى مدنية تحداهم بسورة منه وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك أبداً فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ﴾ الآية [البقرة: ٢٤]، هذا وقد كانت الفصاحة من سجاياهم، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى فى هذا الباب، ولكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد به، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته وجزالته وطلاوته وإفادته وبراعته فكانوا أعلم الناس به وأفهمهم له وأتبعهم له وأشدهم له انقياداً كما عرف السحرة لعلمهم بفنون السحر أن هذا الذى فعله موسى عليه السلام لا يصدر إلا عن مؤيد مسدد مرسل من الله وأن هذا لا يستطاع لبشر إلا بإذن الله. وكذلك عيسى عليه السلام بعث فى زمان علماء الطب ومعالجة المرضى فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه فعرف من عرف منهم أنه عبد الله ورسوله.

ولهذا جاء فى الصحيح<sup>(١)</sup> عن رسول الله ﷺ أنه قال «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا». وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَكِنَّمَا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ يقول بل كذب هؤلاء بالقرآن ولم يفهموه ولا عرفوه ﴿وَلَكِنَّمَا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أى ولم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلا وسفهاً ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أى من الأمم السالفة ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الظَّالِمِينَ﴾ أى فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلما وعلوا وكفرا وعناداً وجهلا فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم. وقوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَدْعُ الْآيَةَ﴾ أى ومن هؤلاء الذين بعثت إليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن ويتبعك ويتنفع بما أرسلت به ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَدْعُ

(١) البخاري برقم (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢)، وأحمد (٩٥١٨)، من حديث أبي هريرة.

بل يموت على ذلك ويبعث عليه ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُنْجِينَ﴾ أى وهو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه ومن يستحق الضلالة فيضله، وهو العادل الذى لا يجور، بل يعطى كلا ما يستحقه تبارك وتعالى وتقدس وتنزه لا إله إلا هو .

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَرَبُّهُمْ مَنْ يَسْتَعِينُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَشْعُقُ السَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَقُولُونَ ﴿١٢﴾ وَرَبُّهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي السَّمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ: وإن كذبت هؤلاء المشركون فتراهم ومن عملهم ﴿قُلْ لِي عَمَلِي وَلكُمْ عَمَلِكُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخرها، وقال إبراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين ﴿إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [المنحة: ٤] ، وقوله: ﴿وَرَبُّهُمْ مَنْ يَسْتَعِينُ إِلَيْكَ﴾ أى يسمعون كلامك الحسن والقرآن العظيم والأحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة فى القلوب والأديان والأبدان وفى هذا كفاية عظيمة، ولكن ليس ذلك إليك ولا إليهم فإنك لا تقدر على إسماع الأصم وهو الأطرش فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء إلا أن يشاء الله ﴿وَرَبُّهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ أى ينظرون إليك وإلى ما أعطاك الله من التزود والسمت الحسن والخلق العظيم، والدلالة الظاهرة على نبوتك لأولى البصائر والنهى . وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم ولا يحصل لهم من الهداية شئ كما يحصل لغيرهم، بل المؤمنون ينظرون إليك بعين الوقار، وهؤلاء الكفار ينظرون إليك بعين الاحتقار ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ أَنْتَ تَخْذُلُكَ إِلَّا هُزُوعًا أَوْ هَدْمًا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ فَتَعْتَبَ﴾ [الفرقان: ٤١-٤٢] .

ثم أخبر تعالى أنه لا يظلم أحدا شيئا وإن كان قد هدى به من هدى وبصر به من العمى، وفتح به أعينا عميا وأفاننا صما، وقلوبا غلغا، وأضل به عن الإيمان آخرين، فهو الحاكم المتصرف فى ملكه بما يشاء الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون لعلمه وحكمته وعدله، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ وفى الحديث عن أبى ذر عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل (يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا - إلى أن قال فى آخره - يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) رواه مسلم بطوله (١) .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا بِمُتَعَدِّينَ ﴿١٥﴾﴾

يقول تعالى مذكرا للناس قيام الساعة وحشرهم من أجدانهم إلى عرصات القيامة كأنهم يوم يوفونها لم يلبسوا فى الدنيا إلا ساعة من النهار كقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا بَرْدٌ كَمَا يَبُرُّونَ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾

[الأحاف: ٣٥] وكقوله: ﴿كَلِمَةً يَوْمَ يُرْوَىٰ لَوْ يَلْتَمِثُونَ إِلَّا وَعِيشَةً أَوْ حُنْهًا﴾ [النازعات: ٤٦] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ وَنُحْشِرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَخْلِفُونَ يَتَنَبَّهُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا فَحَسَّ أَظْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَثْلَهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٢-١٠٤] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُؤْتُوا عَذْرَ صَاعُونَ﴾ [الآيتين [الروم: ٥٥]، وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة كقوله: ﴿قُلْ كَمْ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَنَلَى الْعَمَاقِينَ قُلْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤]، وقوله: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي يعرف الأبناء الآباء والقرابات بعضهم بعضًا كما كانوا في الدنيا ولكن كل مشغول بنفسه ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي السُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حَيْثُ حِيَمًا﴾ الآيات [المعارج: ١٠]، وقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَبِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] لأنهم خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين فهذه هي الخسارة العظيمة ولا خسارة أعظم من خسارة من فرق بينه وبين أحبته يوم الحسرة والندامة.

﴿وَأَمَّا زُرَيْكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوبُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

يقول تعالى مخاطبًا لرسوله ﷺ: ﴿وَأَمَّا زُرَيْكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أي ننتقم منهم في حياتك لتقر عينك منهم ﴿أَوْ نَتُوبُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي مصيرهم ومنقلبهم والله شهيد على أفعالهم بعدك وقد قال الطبراني<sup>(١)</sup>: حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا داود بن الجارود عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد عن النبي ﷺ قال: «عرضت عليّ أمتي البارحة لدى هذه الحجرة أولها وآخرها» فقال رجل: يا رسول الله هذا عرض عليك من خلق فكيف عرض عليك من لم يخلق؟ فقال: «صوروا لي في الطين حتى أنى لأغرّف بالإنسان منهم من أحكم بصاحبه» ورواه<sup>(٢)</sup> عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن عقبة بن مكرم عن يونس بن بكير عن زياد بن المنذر عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد به نحوه. وقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ قال مجاهد: يعني يوم القيامة ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالسَّابِقِ وَالشَّهَادَةِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فكل أمة تعرض على الله بحضرة رسولها وكتاب أعمالها من خير وشر موضوع شاهد عليهم وحفظتهم من الملائكة شهود أيضًا أمة بعد أمة وهذه الأمة الشريفة وإن كانت آخر الأمم في الخلق إلا أنها أول الأمم يوم القيامة يفصل بينهم ويقضى لهم كما جاء في الصحيحين<sup>(٣)</sup> عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، المقضى لهم قبل الخلائق» فأتمته إنما حازت قصب السبق بشرف رسولها صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين.

(١) موضوع: المعجم الكبير للطبراني (٣/١٨١)، برقم (٣٠٥٥).

(٢) المعجم الكبير (٣/١٨١)، برقم (٣٠٥٤)، في إسناده زياد بن المنذر وهو كذاب، انظر مجمع الزوائد (١٠/٦٩).

(٣) البخاري (٢٣٨)، ومسلم (٨٥٦)، من حديث حذيفة وأبي هريرة.

﴿وَيَوْمَلُونَ مَنِّي هَذَا الْوَعْدَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِينُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابِي بُيُوتًا أَوْ أَنْهَارًا مَآذًا يَسْتَجْعِلُونَ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ أُنزِلَ إِذَا مَا وَقَعَ مَأْتَمٌ بِهِ ءَأَلْفَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَجْعِلُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْرُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٩﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن كفر هؤلاء المشركين في استعجالهم العذاب وسؤالهم عن وقته قبل التعيين مما لا فائدة لهم فيه كقوله: ﴿يَسْتَجْعِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنَّا وَيَعْلَمُونَ أَنهَا الْحَقُّ﴾ [النورى: ١٨] أى كائنه لا محالة وواقعة وإن لم يعلموا وقتها حيناً، ولهذا أرشد تعالى رسوله ﷺ إلى جوابهم فقال: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ الآية، أى لا أقول إلا ما علمنى ولا أقدر على شيء مما استأثر به إلا أن يطلعنى الله عليه فإنا عبده ورسوله إليكم وقد أخبرتكم بمجيء الساعة وأنها كائنه ولم يطلعنى على وقتها ولكن ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أى لكل قرن مدة من العمر مقدرة فإذا انقضى أجلهم ﴿فَلَا يَسْتَجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِينُونَ﴾ كقوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ الآية [المنافقون: ١١]، ثم أخبر أن عذاب الله سيأتيهم بغتة فقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابِي بُيُوتًا أَوْ أَنْهَارًا مَآذًا يَسْتَجْعِلُونَ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ أُنزِلَ إِذَا مَا وَقَعَ مَأْتَمٌ بِهِ ءَأَلْفَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَجْعِلُونَ﴾ أى ليلاً أو نهاراً ﴿مَآذًا﴾ قالوا ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْتَجِعْنَا فَمَا نَعْمَلُ صَلِّبًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآية [السجدة: ١٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُنَّا مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَدْعُونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أى يوم القيامة يقال لهم هذا تبيكتنا وتقربنا كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِذْ نَادَى جَهَنَّمَ دَعَا هَٰذِهِ النَّارُ أَتَىٰ كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ أَيْسَرُ هَذَا أَمْ أَسْهَرُ لَا تُبْصِرُونَ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ [النور: ١٣-١٦].

﴿وَيَسْتَجِيبُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَقٍ إِنَّهُمْ لِحَقٌّ وَمَا أَشَدُّ يَمْعَجِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَآ فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

مع  
الحزب  
٢٢

يقول تعالى ويستجيبونك ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾؟ أى المعاد والقيامة من الأحداث بعد صيرورة الأجسام تراباً ﴿قُلْ إِي وَرَقٍ إِنَّهُمْ لِحَقٌّ وَمَا أَشَدُّ يَمْعَجِرِينَ﴾ أى ليس صيرورتكم تراباً بمعجز الله عن إعادتكم كما بدأكم من العدم ف ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وهذه الآية ليس لها نظير فى القرآن إلا آيتان أخريان يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد فى سورة سبأ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣] وفى التغابن ﴿ذَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ كُنَّ رَيْبًا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَشْفُنَّ لِلَّهِ رِبِّيُّونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [التغابن: ٧] ثم أخبر تعالى أنه إذا قامت القيامة يود الكافر لو افتردى من عذاب الله بملء الأرض ذهباً ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ أى بالحق ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأن وعده حق كائن لا محالة وأنه يحيى ويميت وإليه مرجعهم، وأنه القادر على ذلك العليم بما تفرق من الأجسام وتمزق في سائر أقطار الأرض والبحار والقفار.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ۚ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

يقول تعالى ممثلاً على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي زاجر عن الفواحش ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي من الشبه والشكوك وهو إزالة ما فيها من رجس وندس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي فحصل لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه، كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا ۖ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَرَحْمَةً ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [نصفت: ٤٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ أي بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا، فإنه أولى ما يفرحون به ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة، كما قال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية، وذكر بسنده عن بقية يعني ابن الوليد عن صفوان بن عمرو، سمعت أيفع بن عبد الكلاعي يقول: لما قدم خراج العراق إلى عمر رضى الله عنه، خرج عمر ومولى له فجعل عمر يعد الإبل فإذا هي أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول الحمد لله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾، ويقول مولاه هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر: كذبت ليس هذا، هو الذي يقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، وهذا مما يجمعون، وقد أسنده الحافظ أبو القاسم الطبراني، فرواه عن أبي زرعة الدمشقي عن حيوة بن شريح عن بقية فذكره.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلٰلًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم: نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يحلون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصائل، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا قَوْلَنَا ذَرًّا مِنَّا ۗ مِنَ الْكُرْبَةِ وَالْأَنْكَمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup>: حدثنا محمد بن

(١) صحيح : المسند (١٥٤٦١).

نبيه : في المسند قال : حدثنا عفان حدثنا شعبة، فلتعلم.

جعفر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق، سمعت أبا الأحوص، وهو عوف بن مالك بن نضلة، يحدث عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قَشِيفُ الهيئة فقال: «هل لك مال؟ قال: قلت نعم. قال من أي المال؟ قال قلت من كل المال من الإبل والرقيق والخيل والغنم، فقال: «إذا أتاك الله مالا فليز عليك - وقال: «هل تنتج إبلك صحاحًا أذاتها فتعمد إلى موسى فتقطع أذاتها فتقول هذه بحر، أو تشق جلودها وتقول هذه صرم وتحرمها عليك وعلى أهلِكَ» قال نعم قال «فإن ما أتاك الله عز وجل لك حل، وساعد الله أشد من ساعدك وموسى الله أحد من موساك» وذكر تمام الحديث.

ثم رواه عن سفيان بن عيينة عن أبي الزهراء عمرو بن عمرو عن عمه أبي الأحوص، وعن بهز بن أسد<sup>(١)</sup> عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير عن أبي الأحوص به، وهذا حديث جيد قوى الإسناد، وقد أنكر الله تعالى على من حرم ما أحل الله أو أحل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء التي لا مستند لها ولا دليل عليها، ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة فقال: ﴿وَمَا لَهُنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي ما ظنهم أن نضع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ قال ابن جرير: في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا.

(قُلُوبُ) ويحتمل أن يكون المراد لذو فضل على الناس فيما أباح لهم مما خلقه من المنافع في الدنيا ولم يحرم عليهم إلا ما هو ضار لهم في دنياهم أو دينهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ بل يحرمون ما أنعم الله به عليهم، ويضيقون على أنفسهم فيجعلون بعضًا حلالًا وبعضًا حرامًا. وهذا قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه لأنفسهم، وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم.

وقال ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup> في تفسير هذه الآية حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا رباح حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا موسى بن الصباح في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ قال إذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله عز وجل فيقومون بين يدي الله عز وجل ثلاثة أصناف قال فيؤتى برجل من الصنف الأول فيقول: عبدى لماذا عملت؟ فيقول يا رب خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها وحورها ونعيمها وما أعددت لأهل طاعتك فيها فأسهرت ليلي وأظلمات نهاري شوقًا إليها - قال فيقول الله تعالى: عبدى إنما عملت للجنة هذه الجنة فادخلها ومن فضلى عليك أن أعتقتك من النار ومن فضلى عليك أن أدخلك جنتى قال: فيدخل هو ومن معه الجنة - قال - ثم يؤتى برجل من الصنف الثاني فيقول عبدى لماذا عملت؟ فيقول يا رب خلقت نارًا وخلقت أغلالها وسميرها وسمومها ويحمومها وما أعددت لأعدائك وأهل معصيتك فيها فأسهرت ليلي وأظلمات نهاري خوفًا منها فيقول عبدى إنما عملت ذلك خوفًا من نارى فإننى قد أعتقتك من النار ومن فضلى عليك أن أدخلك جنتى فيدخل هو ومن معه الجنة. ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول عبدى لماذا عملت؟ فيقول رب حبًا لك وشوقًا إليك وعزتك لقد أسهرت ليلي وأظلمات نهاري شوقًا إليك وحبًا لك. فيقول تبارك وتعالى: عبدى إنما عملت حبًا لى وشوقًا إلى فيتجلى له الرب جل جلاله ويقول ها أنا ذا فانظر إلى ثم يقول: من فضلى عليك أن أعتقتك من النار وأبيحك جنتى وأزيرك ملائكتى وأسلم عليك بنفسى: فيدخل هو ومن معه الجنة.

(٢) ضعيف: تفسير ابن أبي حاتم (٦/٧٤٤٥).

(١) المسند (١٥٤٦٢).

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ لَّا يَشْفَاكَ ذَرَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

يخبر تعالى نبيه ﷺ أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق في كل ساعة وأن ولحظة وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصرغها في السموات ولا في الأرض ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين كقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب السارحة في قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِهَا إِلَّا آمَمَّ بِهَا مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ تِينٍ وَنُورٍ لَكَ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَسْلُبُهَا مَتَاعَهَا وَرَبُّهَا مُتَحِفًا وَسُودَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦] وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَيْبِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَبُّكَ جِئْنَا نَقُومُ وَنُقَلِّبُكَ فِي الْأَشْيَاءِ﴾ [الشعراء: ٢١٧+٢١٩] ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ﴾ أي إذا تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون ولهذا قال ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (١).

﴿إِلَّا لِمَنْ أَوْلِيَاةَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسره لهم ربهم، فكل من كان تقياً كان لله ولياً فـ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما وراءهم في الدنيا، وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله، وقد ورد هذا في حديث مرفوع كما قال البزار (٢) حدثنا علي بن حرب الرازي حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري وهو القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله من أولياء الله؟ قال «الذين إذا رؤوا ذكر الله» ثم قال البزار وقد روى عن سعيد مرسلاً، وقال ابن جرير (٣) حدثنا أبو هشام الرقاصي حدثنا أبو فضيل حدثنا أبي عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير البجلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

(١) البخاري (٥٠)، (٤٧٧٧)، ومسلم (٨) (٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح: قال الهيثمي في المجمع (٧٨/١٠): رواه البزار عن شيخه علي بن حرب الرازي، لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا، وانظر السلسلة الصحيحة رقم (١٧٣٣).

(٣) صحيح: تفسير الطبري (١١/١٣٢).

قال رسول الله ﷺ «إن من عباد الله عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء» قيل من هم يا رسول الله لعنا نحبهم؟ قال: «هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس» ثم قرأ ﴿آلَ إِنَّا لَنَرِيكَ أَهْلًا قَوْلًا لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ثم رواه أيضًا أبو داود <sup>(١)</sup> من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي ﷺ بمثله وهذا أيضًا إسناده جيد إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب رضى الله عنه، وفى حديث الإمام أحمد <sup>(٢)</sup> عن أبي النضر عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «يأتى من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تتصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا فى الله يضح الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفرح الناس ولا يفرعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» والحديث مطول.

وقال الإمام أحمد <sup>(٣)</sup> حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان بن أبي صالح عن رجل عن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ فى قوله: «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» قال «الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»

وقال ابن جرير <sup>(٤)</sup>: حدثني أبو السائب حدثنا معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء فى قوله: «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» قال سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال: لقد سألت عن شيء ما سمعت أحدًا سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله ﷺ فقال: «هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشره فى الحياة الدنيا وبشره فى الآخرة الجنة» ثم رواه ابن جرير من حديث سفيان عن ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر أنه سأل أبا الدرداء عن هذه الآية فذكر نحوه ما تقدم ثم قال ابن جرير <sup>(٥)</sup> حدثني العفنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح قال: سمعت أبا الدرداء مثل عن هذه الآية «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى» فذكر نحوه سواء وقال الإمام أحمد <sup>(٦)</sup> حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى عن أبي سلمة عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» فقال: «لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمتي أو قال أحد قبلك - قال: تلك الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له» وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران القطان عن يحيى بن أبي كثير به، ورواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير فذكره ورواه على بن المبارك عن يحيى عن أبي سلمة قال: نبئنا عن عبادة بن الصامت سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فذكره.

وقال ابن جرير <sup>(٧)</sup> حدثني أبو حميد الحمصي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عمر بن عمرو بن عبد

(١) صحيح: أبو داود (٣٥٢٧).

(٢) صحيح: المسند (٢٢٣٩٩).

(٣) صحيح: المسند (٢٦٩٦٤).

(٤) حسن: تفسير الطبري (١٣٦/١١).

(٥) صحيح: تفسير الطبري (١٣٤/١١).

(٦) تفسير الطبري (١٣٤/١١).

(٧) المسند (٢٢١٨٠).

الأحموسى عن حميد بن عبد الله المزنى قال: أتى رجل عبادة بن الصامت فقال: آية فى كتاب الله أسألك عنها قول الله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فقال عبادة ما سألتى عنها أحد قبلك سألت عنها نبى الله فقال مثل ذلك «ما سألتى عنها أحد قبلك الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن فى المنام أو ترى له» ثم رواه <sup>(١)</sup> من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله ﷺ: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فقد عرفنا بشرى الآخرة الجنة فما بشرى الدنيا؟ قال «الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن أو ترى له. وهى جزء من أربعة وأربعين جزءاً أو سبعين جزءاً من النبوة».

وقال الإمام أحمد أيضاً <sup>(٢)</sup> حدثنا بهز حدثنا حماد حدثنا أبو عمران عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر أنه قال يا رسول الله: الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه، ويشنون عليه، به فقال رسول الله ﷺ: «تلك عاجل بشرى المؤمن» رواه مسلم <sup>(٣)</sup>، وقال أحمد <sup>(٤)</sup> أيضاً: حدثنا حسن يعنى الأشيب حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ - قال - الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن هي جزء من تسعة وأربعين جزءاً من النبوة فمن رأى ذلك فليخبر بها، ومن رأى سوى ذلك فإنما هو من الشيطان ليحزنه، فلينبث عن يساره ثلاثاً وليكبر ولا يخبر بها أحداً، لم يخرجوه. وقال ابن جرير <sup>(٥)</sup> حدثنى يونس أنبأنا ابن وهب حدثنى عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمع حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة <sup>(٦)</sup> وقال أيضاً: حدثنى محمد بن حاتم المؤدب حدثنا عمار بن محمد حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ - قال - فى الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهى فى الآخرة الجنة، ثم رواه عن أبى كريب عن أبى بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة أنه قال: الرؤيا الحسنة بشرى من الله، وهى من المبشرات هكذا رواه من هذا الطريق موقوفاً، وقال أيضاً <sup>(٧)</sup> حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا هشام عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الحسنة هى البشرى يراها المسلم أو ترى له».

وقال ابن جرير <sup>(٨)</sup> حدثنى أحمد بن حماد الدولابى حدثنا سفيان عن عبيد الله بن أبى يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن أم كرز الكعبية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات» وهكذا روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير ويحيى بن أبى كثير وإبراهيم النخعى وعطاء بن أبى رباح وغيرهم أنهم فسروا ذلك بالرؤيا الصالحة. وقيل: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَزْوَاجَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

(١) تفسير الطبري (١١/١٣٥).

(٣) مسلم برقم (٢٦٤٢).

(٥) تفسير الطبري (١١/١٣٧).

(٧) تفسير الطبري (١١/١٣٤).

(٢) صحيح: المسند (٢٠٨٧٢).

(٤) المسند (٧٠٠٤).

(٦) تفسير الطبري (١١/١٣٥).

(٨) صحيح: تفسير الطبري (١١/١٣٥).

اسْتَمْتُمُوا نَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ اَلَّا يَخْفٰٓؤُا وَلَا يَحْزَنُوۡا وَاَنْشُرُوۡا بِالْمَيۡتُوۡۤا الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُوۡنَ مَعَنۢ اٰۤیٰٓآ اَلۡاٰكِمۡ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْاٰخِرَةِ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشْتٰٓهِنَ اَنْفُسُكُمْ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدْعُوۡنَ تَرٰٓا مِنْ عَفۡوَرٍ رَّجۡمٍ ﴿٣٠﴾ [صفت: ٣٠-٣٢] وفي حديث البراء رضى الله عنه <sup>(١)</sup> ان المؤمن اذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الشياح فقالوا اخرجى ايتها الروح الطيبة الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السماء واما بشرهم في الآخرة فكما قال تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الۡفَنَءُ الۡاَكْبَرُ وَنَلَقْنَهُمُ الْمَلٰٓئِكَةَ هُنَا يَوْمَ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُوۡنَ﴾ [الانبيا: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿يَمۡ تَرٰى الْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسَعُ ثَوْبُهُمۡ بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَيَاۤئِيۡنُهُمۡ بَشْرُكُمُ الْيَوْمِ جَنَّتٌ تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ هُوَ الْجَنَّةُ الْعَلِيۡمَةُ﴾ [العنكب: ١٢].

وقوله: ﴿لَا يَبۡدِيۡلُ يَكۡلِمَتِ اللّٰهِ﴾ اى هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة ﴿ذٰلِكَ هُوَ الْوَعْدُ الْعَلِيۡمُ﴾.

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ اِنَّ الْوَسۡرَةَ لِلّٰهِ جَبِيۡمًا هُوَ السَّمِيۡعُ الْعَلِيۡمُ﴾ ٣١ ﴿اَلَا اِنَّ لِلّٰهِ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْاَرۡضِ وَمَا يَشۡعُ الَّذِيۡنَ يَدْعُوۡنَ مِنْ دُوۡرِ اللّٰهِ شُرَكَاءَ اِنْ يَسۡتَجِۡبُوۡنَ اِلَّا الظَّنُّ وَاِنْ هُمۡ اِلَّا يَحْزَنُوۡنَ﴾ ٣٢ ﴿هُوَ الَّذِيۡ جَعَلَ لَكُمُ الْبَلَدَ الَّذِيۡ اَنْتُمْ تَسۡكُنُوۡنَ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبۡعِرًا اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوۡرٍ يَسۡمَعُوۡنَ﴾ ٣٣ ﴿

يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ﴾ قول هؤلاء المشركين واستمن بالله عليهم وتوكل عليه ذ ﴿اِنَّ الْوَسۡرَةَ لِلّٰهِ جَبِيۡمًا﴾ اى جميعها له ولرسوله وللمؤمنين ﴿هُوَ السَّمِيۡعُ الْعَلِيۡمُ﴾ اى السميع لأقوال عباده العليم بأحوالهم، ثم أخبر تعالى ان له ملك السموات والأرض وأن المشركين يعبدون الأصنام وهم لا تملك شيئا لا ضررا ولا نفعا ولا دليل لهم على عبادتها، بل إنما يتبعون فى ذلك ظنونهم وتخمينهم وكذبهم وإفكهم.

ثم أخبر أنه الذى جعل لعباده الليل ليكنوا فيه، اى يستريحون من نصبهم وكلالهم وحركاتهم ﴿وَالنَّهَارَ مُبۡعِرًا﴾ اى مضيقا لمعاشهم وسعيهم وأسفارهم ومصالحهم ﴿اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوۡرٍ يَسۡمَعُوۡنَ﴾ اى يسمعون هذه الحجج والأدلة فيعتبرون بها ويستدلون على عظمة خالقها ومقدرها وبسيرها.

﴿قَالُوۡا اَتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيۡزُ لَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرۡضِ اِنْ عِنۡدَكُمۡ مِنْ سُلۡطٰنٍ بِهٰذَا اَتَقُوۡلُوۡنَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعۡلَمُوۡنَ﴾ ٣٤ ﴿قُلۡ اِنَّ الَّذِيۡنَ يَفۡتَرُوۡنَ عَلَى اللّٰهِ الْكُذۡبَ لَا يَفۡلَحُوۡنَ﴾ ٣٥ ﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا نٰۤا اِنۡسٰنًا مَّرۡجُمًا ثُمَّ نَبۡيَهُمُ الْعَذٰبَ الشَّدِيۡدَ يَمَّا كَانُوۡا يَكۡفُرُوۡنَ﴾

يقول تعالى منكرا على من ادعى أن له ولدا: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيۡزُ﴾ اى قدس عن ذلك هو الغنى عن كل ما سواه وكل شيء فقير إليه ﴿لَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرۡضِ﴾ اى فكيف يكون له ولد مما

خلق وكل شيء مملوك له عبد له ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ أى ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنكار ووعيد أكيد وتهديد شديد كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرْنَ مِنِّهِ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَيَخِرُّ لِبَيْتَالٍ هَذَا أَنْ دَهَوًا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يُنْبِئُ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَتَى الرَّحْمَنِ عِبَادٌ لَقَدْ أَنصَبُمْ وَعَدَّهَمْ عَدًّا وَكَلَّمَهُمْ مَا يَبْئُؤُا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْآنًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

ثم توعد تعالى الكاذبين عليه المفترين ممن زعم أن له ولداً بأنهم لا يفلحون فى الدنيا ولا فى الآخرة فأما فى الدنيا فإنهم إذا استدرجهم وأملى لهم متمهم قليلا (ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ) كما قال تعالى ههنا: ﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا﴾ أى مدة قريبة ﴿ثُمَّ لَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ أى يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَنُنْفِثُهُمْ أَلْمَدَابَ السُّودِ﴾ أى الموجع المولم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أى بسبب كفرهم وافتراءهم وكذبهم على الله فيما ادعوا من الإفك والزور.

نصف

الحزب

٢٢

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوُّوا إِنَّ كَانَ كِبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ فَعَلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٠١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾

يقول تعالى لنبه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أى أخبرهم واقتصر ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أى على كفار مكة الذين يكذبونك ويخالفونك ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ أى خبره مع قومه الذين كذبوه كيف أهلكهم الله ودمرهم بالفرق أجمعين عن آخرهم ليحذر هؤلاء أن يصيهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوُّوا إِنَّ كَانَ كِبْرَ عَلَيْكُمْ﴾ أى عظم عليكم ﴿مَقَامِي﴾ أى فيكم بين أظهركم ﴿وَتَذَكَّرِي﴾ أى إياكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أى بحججه وبراهينه ﴿فَعَلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ﴾ أى فإني لا أبالي ولا أكف عنكم سواء عظم عليكم أو لا ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أى فاجتمعوا انتم وشركاءكم الذين تدعون من دون الله من صنم ووثن ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أى: ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبساً، بل افصلوا حالكم معي فإن كنتم تزعمون أنكم محقون ف ﴿اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ أى ولا تتأخروني ساعة واحدة أى مهما قدرتم فافعلوا فإني لا أباليكم ولا أخاف منكم لأنكم لستم على شيء كما قال هود لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ بَيْنَ دُونِهِ فَيَكْذِبُونَ جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ أى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِبِئْسَاتِنَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الآية [هود: ٥٤-٥٦].

وقوله ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أى كذبتم وأدبرتم عن الطاعة ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أى لم أطلب منكم على نصحي إياكم شيئاً ﴿إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أى وأنا محتال ما أمرت به من الإسلام لله عز وجل والإسلام هو دين جميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهجهم كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن عباس: سبيلا وسنة فهذا نوح يقول: ﴿وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١] وقال تعالى

عن إبراهيم الخليل: ﴿إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ أَتَسْلِمُ قَالَ أَتَسْلِمُ قَالَ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَمَنْ بِهَا إِذْ هُمْ يُبَدِّلُ يَدَيْكَ وَيَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْكَ إِنَّ اللَّهَ اشْفَعُ لَكُمْ لَئِنْ فَلا تَمُوتَنَّ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٢].

وقال يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحْزَابِ فَأَطِرَ السَّجُونِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيُّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالْمَسْلُوبِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال موسى: ﴿بَقِوْا إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] وقالت السحرة: ﴿رَبَّنَا أفرغ علينا صبرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦] وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيهَا هُدًى وَنُورًا يُحْكَمُ بِهَا الْأَبْيُوتَ الَّذِينَ آسَلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَارِثِيِّنَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] وقال خاتم الرسل وسيد البشر ﷺ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ بُرِئْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] أى من هذه الأمة ولهذا قال فى الحديث الثابت عنه: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات وديننا واحد»<sup>(١)</sup> أى هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت شرائعنا وذللك معنى قوله أولاد علات وهم الإخوة من أمهات شتى والأب واحد.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ مِمَّنْ أَسْلَمُ عَلَى دِينِهِ﴾ [في التلويح] وهى السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُ حَتِيفًا﴾ أى فى الأرض ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ أى يا محمد كيف أنجينا المؤمنين وأهلكنا المكذبين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ لِيَأْتِيَهُمْ لِقَاءُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

يقول تعالى ثم بعثنا من بعد نوح ﴿رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ لِيَأْتِيَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أى بالحجج والأدلة والبراهين على صدق ما جاءهم به ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أى فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسلهم بسبب تكذيبهم إياهم أول ما أرسلوا إليهم كقوله تعالى: ﴿وَنَقَلْنَا آيَاتِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أى كما طبع الله على قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم هكذا يطبع الله على قلوب من أشبههم ممن بعدهم ويختم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، والمراد أن الله تعالى أهلك الأمم المكذبة للرسل وأنجى من آمن بهم وذلك من بعد نوح عليه السلام فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم عليه السلام على الإسلام إلى أن أحدث الناس عبادة الأصنام فبعث الله إليهم نوحًا عليه السلام ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة: أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عباس<sup>(٤)</sup>: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، وقال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرُوحِكَ بِذُنُوبِهِمْ حَبِيرًا بَئِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧]، وفى هذا إنلار عظيم لمشركى

(١) البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧)، (١٩٤)، من حديث أبي هريرة.

(٣) تقدم.

العرب الذين كذبوا سيد الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين فإنه إذا كان قد أصاب من كذب بتلك الرسل ما ذكره الله تعالى من العقاب والنكال فماذا ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك؟ .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

يقول تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ من بعد تلك الرسل ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أى قومه ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أى حججنا وبراهيننا ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ أى استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له وكانوا قوما مجرمين ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦٦﴾﴾ كأنهم قبحهم الله أقسموا على ذلك وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان كما قال تعالى : ﴿وَمَعُدُوا بِهَا وَيَسْتَفْتِنَهَا أَنْفُسَهُمْ فَلَمَّا وَطئُوا فَنظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل : ١٤] ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مُوسَى﴾ منكراً عليهم ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا﴾ أى تشيننا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أى الدين الذى كانوا عليه ﴿وَتَكُونَ لَكُمُ﴾ أى لك ولهارون ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾ أى العظمة والرياسة ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

وكثيراً ما يذكر الله تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون فى كتابه العزيز لأنها من أعجب القصص فإن فرعون حذر من موسى كل الحذر فسخره القدر أن ربى هذا الذى يحذر منه على فراشه ومائدته بمنزلة الولد ثم ترعرع وعقد الله له سبباً أخرجه من بين أظهرهم ورزقه النبوة والرسالة والتكليم وبعثه إليه ليدعوه إلى الله تعالى ليعبده ويرجع إليه هذا مع ما كان عليه فرعون من عظمة المملكة والسلطان، فجاءه برسالة الله تعالى وليس له وزير سوى أخيه هارون عليهما السلام، فتمرد فرعون واستكبر وأخذته الحمية، والنفس الخبيثة الأبية وقوى رأسه وتولى بركنه وادعى ما ليس له وتجههم على الله وعتا وبغى وأهان حزب الإيمان من بنى إسرائيل والله تعالى يحفظ رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون ويحوظهما بعنايته ويحرسهما بعينه التى لا تنام ولم تزل المحاجة والمجادلة والآيات تقوم على يدى موسى شيئاً بعد شيء، ومرة بعد مرة مما يبهز العقول ويدهش الألباب مما لا يقوم له شيء ولا يأتى به إلا من هو مؤيد من الله ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ وصمم فرعون وملؤه قبحهم الله على التكذيب بذلك كله والجحد والعداوة والمكابرة حتى أحل الله بهم بأسه الذى لا يرد، وأغرقهم فى صبيحة واحدة أجمعين ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ٤٥] .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَهُمُ الْمَوْسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُثْلُونَ ﴿٧٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَجْلِبُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧١﴾ وَحِجُّ اللَّهِ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾

ذكر الله سبحانه قصة السحرة مع موسى عليه السلام فى سورة الأعراف وقد تقدم الكلام عليها هناك وفى هذه السورة وفى سورة طه وفى الشعراء وذلك أن فرعون لعنه الله أراد أن يتهرج على الناس ويعارض ما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين، بزخارف السحرة والمشعبذين، فانعكس عليه

النظام ولم يحصل له ذلك المرام، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام ﴿قَاتِلَى السَّحَرَةِ سَاحِرِينَ قَالُوا آمَنَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُؤْمِنٍ وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٦-٤٨] فظن فرعون أنه ينتصر بالسحار، على رسول الله عالم الأسرار فخاب وخسر الجنة واستوجب النار ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونَ بِكُلِّ سِحْرِ طَيْرٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لَهْرُؤُا لَقُوا مَا أَشْرَءُ عُقُقُوكَ ﴿٦٦﴾﴾ وإنما قال ذلك لهم لأنهم لما اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل ﴿قَالُوا يَمْؤُومُونَ إِنَّمَا أَنْتَ تُفْقِرُ وَلِمَ لَمْ أَتُكُونَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ قَالُوا بَلْ أَتَوْا ﴿طه: ٦٥-٦٦﴾ فأراد موسى أن تكون البداية منهم ليرى الناس ما صنعوا ثم يأتي بالحق بعده فيدفع باطلهم .

ولهذا لما لقوا: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَوْبَهُمُ رِجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَجِيبٍ﴾ ﴿قَاتِلَى فِي قَوْمِهِ خِيفَةَ مُوسَى لَمَّا لَا تَخَفُ إِنَّا أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَآلِي مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا سَمِعُوا إِنَّمَا سَمِعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٧-٦٩] فعند ذلك قال موسى لما لقوا: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُخَيِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ لِلْكَافِرِينَ. وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا عبد الرحمن يعني الدشتكي أخبرنا أبو جعفر الرازي عن ليث وهو ابن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى تقرأ في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الآية التي من سورة يونس ﴿فَلَمَّا أَتَوْا قَالُوا مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِالسِّحْرِ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُخَيِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ لِلْكَافِرِينَ. وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١-٨٢] والآية الأخرى ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الاعراف: ١١٨] إلى آخر أربع آيات، وقوله ﴿إِنَّمَا سَمِعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] .

﴿فَمَّا آمَنَّ لِيُؤْمِنَ إِلَّا ذُرِّيَّتَهُ مِنْ قَوْمِهِ. عَلَّمَ خَوْفَ رَبِّهِمْ أَنْ يَقْنَنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾

يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البيّنات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات إلا قليل من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملكه أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر، لأن فرعون لعنه الله كان جباراً عنيداً مسرفاً في التمرد والعتو وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منه خوفاً شديداً .

قال العوفي عن ابن عباس: ﴿فَمَّا آمَنَّ لِيُؤْمِنَ إِلَّا ذُرِّيَّتَهُ مِنْ قَوْمِهِ. عَلَّمَ خَوْفَ رَبِّهِمْ أَنْ يَقْنَنَهُمْ﴾ قال: فإن الذرية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير منهم امرأة فرعون: ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه . وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿فَمَّا آمَنَّ لِيُؤْمِنَ إِلَّا ذُرِّيَّتَهُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ يقول بني إسرائيل وعن ابن عباس والضحاك وقتادة: الذرية اللليل وقال مجاهد في قوله: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّتَهُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ قال: هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات أبائهم واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية أنها من بني إسرائيل لا من قوم فرعون لعود الضمير على أقرب المذكورين، وفي هذا نظر لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل .

فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى عليه السلام واستبشروا به وقد كانوا يعرفون نعت

وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة وأن الله تعالى سينقذهم من أسر فرعون ويظهرهم عليه ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر فلم يُجد عنه شيئاً، ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى، ﴿قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْنِيَنَا وَمِنْ بَدُو مَا حِجْتَنَا قَالَ عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذَابُكُمْ لَتَسْتَخِفَّنَّكَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَمْلِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى وهم بنو إسرائيل ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ تَيْنَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ أى وأشرف قومه أن يفتنهم ولم يكن فى بنى إسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الإيمان سوى قارون فإنه كان من قوم موسى فبغى عليهم لكنه كان طاوياً إلى فرعون متصلاباً به متعلقاً بحباله ومن قال إن الضمير فى قوله: ﴿وَمَلَئِهِمْ﴾ عائد إلى فرعون وعظم الملك من أجل اتباعه أو بحذف آل فرعون وإقامة المضاف إليه مقامه فقد أبعد وإن كان ابن جرير قد حكاهما عن بعض النحاة.

ومما يدل على أنه لم يكن فى بنى إسرائيل إلا مؤمن، قوله تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَقَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ فَقَالُوا عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَحِجْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

يقول تعالى مخبراً عن موسى أنه قال لبنى إسرائيل: ﴿يَقَوْمُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَقَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ أى فإن الله كاف من توكل عليه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين العبادة والتوكل كقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [المالك: ٢٩] ﴿رَبُّكَ لَشَرِيفٌ وَالتَّوَكُّلُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاعْبُدْهُ وَكَيْلًا﴾ [المزمل: ٩] وأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا فى كل صلواتهم مرات متعددة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقد امثل بنو إسرائيل ذلك فقالوا: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أى لا تظهرهم بنا وتسلطهم علينا فيظنوا أنهم إنما سلطوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل فيفتنوا بذلك هكذا روى عن أبى مجلز وأبى الضحى، وقال ابن أبى نجیح وغيره عن مجاهد لا تعذبنا بأيدى آل فرعون ولا بعداب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم فيفتنوا بنا وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبى نجیح عن مجاهد ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لا تسلطهم علينا فيفتنونا. وقوله: ﴿وَحِجْنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ أى خلصنا برحمة منك وإحسان ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أى الذين كفروا الحق وستروه ونحن قد آمنة بك وتوكلنا عليك.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَرَبِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

يذكر الله تعالى سبب إنجائه بنى إسرائيل من فرعون وقومه وكيفية خلاصهم منهم وذلك أن الله تعالى أمر موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن يتبوءا أى يتخذوا لقومهما بمصر بيوتاً، واختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فقال الثورى وغيره عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: أمروا أن يتخذوها مساجد، وقال الثورى أيضاً عن ابن منصور عن إبراهيم، ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم وكذا



شيء كما دعا نوح عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَبَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَايِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧] ولهذا استجاب الله تعالى لموسى عليه السلام فيهم هذه الدعوة التي آمن عليها أخوه هارون فقال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾ قال أبو العالية وأبو صالح وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والربيع بن أنس دعا موسى وأمن هارون أي قد أجبنا كما فيما سألتما من تدمير آل فرعون، وقد يحتج بهذه الآية من يقول: إن تأمين المأموم على قراءة الفاتحة ينزل منزلة قراءتها لأن موسى دعا وهارون آمن، وقال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ الآية، أي كما أجيبت دعوتكما فاستقيما على أمرى قال ابن جريج عن ابن عباس: ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ فامضيا لأمرى وهى الاستقامة قال ابن جريج يقولون إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة، وقال محمد بن على بن الحسين: أربعين يوما.

ثلاثة

أربع

الحزب

٢٢

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنفِي لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٥﴾ ءَأَلْفَنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَنُنَكِّتُكَ لِمَنْ خَلَقَ ءَأَيَّةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَأَيِّنَا لَنَافِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

يذكر تعالى كيفية إغراقه فرعون وجنوده فإن بنى إسرائيل لما خرجوا من مصر بصحبة موسى عليه السلام وهم فيما قيل ستمائة ألف مقاتل سوى الذرية وقد كانوا استعاروا من القبط حليًا كثيرًا فخرجوا به معهم فاشتد حنق فرعون عليهم فأرسل فى المدائن حاشرين يجمعون له جنوده من أقاليمه فركب ورائهم فى أبهة عظيمة وجيوش هائلة لما يريد الله تعالى بهم ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان فى سائر مملكته فلحقوهم وقت شروق الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَنَدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] وذلك أنهم لما انتهوا إلى ساحل البحر وفرعون ورائهم ولم يبق إلا أن يتقاتل الجمعان وألح أصحاب موسى عليه السلام عليه فى السؤال كيف المخلص مما نحن فيه؟ فيقول: إنى أمرت أن أسلك ههنا ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَبِىَّ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الشعراء: ٦٢] فعند ما ضاق الأمر اتسع فأمره الله تعالى أن يضرب البحر بعصاه فاضربه فانفلق البحر ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ أى كالجبل العظيم وصار اثنى عشر طريقًا لكل سبط واحد وأمر الله الريح فنشفت أرضه ﴿فَأَضْرَبَ لَهم طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧]. وتخرق الماء بين الطرق كهيئة الشبايبك ليرى كل قوم الآخرين لثلا يظنوا أنهم هلكوا. وجاوزت بنو إسرائيل البحر فلما خرج آخرهم منه انتهى فرعون وجنوده إلى حافته من الناحية الأخرى وهو فى مائة ألف أدهم سوى بقية الألوان، فلما رأى ذلك هاله وأحجم وهاب وهم بالرجوع وهيهات ولات حين مناص، نفذ القدر، واستجبت الدعوة.

وجاء جبريل عليه السلام على فرس وديق حائل فمر إلى جانب حصان فرعون فمحمم إليها وتقدم جبريل فافتحم البحر ودخله فافتحم الحصان ورائه ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئًا فتجلد لأمرائه وقال لهم ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منا فافتحموا كلهم عن آخرهم وميكائيل فى ساقتهم لا يترك منهم أحدًا إلا ألحقه بهم، فلما استوسقوا فيه وتكاملوا وهم أولهم بالخروج منه أمر الله القدير البحر أن

يرتطم عليهم فارتطم عليهم فلم ينج منهم أحد وجعلت الأمواج ترفهم وتخفضهم وترامت الأمواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت فقال وهو كذلك: ﴿أَمَنْتُ لَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فآمن حيث لا ينفعه الإيمان ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَسَكَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْهُمْ لَوْمَةٌ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ إِلَيْنَا فَدَّ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ﴾ [صافر: ٨٤-٨٥] ولهذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال ﴿وَلَكِنَّ رَقَدَ عَصِيَّتَ قَبْلُ﴾ أى أهذا الوقت تقول، وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ أى فى الأرض الذين أضلوا الناس ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَذُكَّرُونَ إِلَى الْنَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُصْرُونَ﴾ [القصص: ٤١] وهذا الذى حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا فى حاله ذلك من أسرار الغيب التى أعلم الله بها رسوله ﷺ ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (١) حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل - قال - قال لى جبريل: لو رأيتنى وقد أخذت حالاً من حال البحر فدانست فى فيه مخافة أن تناله الرحمة».

وقدره رواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم (٢) فى تفاسيرهم من حديث حماد بن سلمة به، وقال الترمذى: حديث حسن، وقال أبو داود الطيالسى (٣) حدثنا شعبة عن عدى بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لى جبريل - عليه السلام - لو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدسه فى فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة» وقد رواه أبو عيسى الترمذى أيضاً وابن جرير أيضاً (٤) من غير وجه عن شعبة به فذكر مثله، وقال الترمذى: حسن غريب صحيح، ووقع فى رواية عند ابن جرير عن محمد بن المثنى عن غنم عن شعبة عن عطاء وعدى عن سعيد عن ابن عباس رفعه أحدهما وكان الآخر لم يرفع فإله أعلم.

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أغرق الله فرعون أشار بأصبعه ورفع صوته ﴿أَمَنْتُ أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ قال فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه فجعل يأخذ الحال بجناحيه فيضرب به وجهه فيرمسه، وكذا رواه ابن جرير عن سفیان بن وكيع عن أبى خالد به موقوفاً، وقد روى من حديث أبى هريرة أيضاً فقال ابن جرير (٥) حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة هو ابن أبى سعيد عن كثير بن زاذان عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لى جبريل يا محمد لو رأيتنى وأنا أغطه وأدس من الحال فى فيه مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له» يعنى فرعون. كثير بن زاذان هذا قال ابن معين: لا أعرفه، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: مجهول ويافى رجاله ثقات.

(١) صحيح: المسند (٢٨١٦).

(٢) صحيح: الترمذى (٣١٠٦)، وابن جرير (١٦٣/١١)، وابن أبى حاتم (١٠٥٦١/٦).

(٣) صحيح: مسند الطيالسى (٣٤١/١)، برقم (٢٦١٨).

(٤) صحيح: الترمذى (٣١٠٧)، وتفسير ابن جرير (١٦٣/١١).

(٥) تفسير ابن جرير (١٦٣/١١).

وقد أرسل هذا الحديث جماعة من السلف قتادة وإبراهيم التيمي وميمون بن مهران ونقل عن الضحاك بن قيس أنه خطب بهذا للناس فإله أعلم . وقوله : ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيدِكَ لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ قال ابن عباس وغيره من السلف : إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سوياً بلا روح وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع ليتحققوا موته وهلاكه ولهذا قال تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ أى نرفعك على نشز من الأرض ﴿بِيدِكَ﴾ قال مجاهد : بجسدك ، وقال الحسن : بجسم لا روح فيه ، وقال عبد الله بن شداد : سوياً صحيحاً أى لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه .

وقال أبو صخر : بدرعك . وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها كما تقدم والله أعلم . وقوله : ﴿لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ أى لتكون لبني إسرائيل دليلاً على موتك وهلاكك وأن الله هو القادر الذى ناصية كل دابة بيده وأنه لا يقوم لغضبه شيء ولهذا قرأ بعض السلف «لتكون لمن خلقك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون» أى لا يتعظون بها ولا يعتبرون بها ، وقد كان إهلاك فرعون يوم عاشوراء كما قال البخارى <sup>(١)</sup> حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : «ما هذا اليوم الذى تصومونه؟» فقالوا : هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون . فقال النبي ﷺ لأصحابه : «أنتم أحق بموسى منهم فصوموه» .

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على بني إسرائيل من النعم الدينية والدنيوية وقوله : ﴿مَبُوءًا صِدْقٍ﴾ قيل هو بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه فإن الله تعالى لما أهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الموسوية على بلاد مصر بكما لها كما قال الله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَمُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْغَحُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

وقال فى الآية الأخرى ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّتِ وَيُؤْتُونَ وَكَثِيرٌ وَقَارٌ كَثِيرٌ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء : ٥٧-٥٩] ، وقال : ﴿كَرَّ تَرَكُوا مِ بَيْنَ جَنَّتِ وَيُؤْتُونَ﴾ الآيات ولكن استمروا مع موسى عليه السلام طالبين إلى بلاد بيت المقدس وهى بلاد الخليل عليه السلام فاستمر موسى بمن معه طالباً بيت المقدس وكان فيه قوم من العمالقة فنكل بنو إسرائيل عن قتالهم فشردهم الله تعالى فى التيه أربعين سنة ومات فيه هارون ثم موسى عليهما السلام وخرجوا بعدهما مع يوشع بن نون ففتح الله عليهم بيت المقدس واستقرت أيديهم عليها إلى أن أخذها منهم بختنصر حيناً من الدهر ثم عادت إليهم ثم أخذها ملوك اليونان فكانت تحت أحكامهم مدة طويلة وبعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام فى تلك المدة فاستعانت اليهود قبحهم الله على معاداة عيسى عليه السلام بملوك اليونان وكانت تحت أحكامهم

(١) البخارى (٤٦٨٠) ، ومسلم (١١٣٠) .

ووشوا عندهم وأوحوا إليهم أن هذا يفسد عليكم الرعايا فبعثوا من يقبض عليه فرضعه الله إليه وشبه لهم بعض الحوارين بمشيئة الله وقدره فأخذوه فصلبوه واعتقدوا أنه هو ﴿وَمَا قَلَّوْهُ يَتَيْنًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨] ثم بعد المسيح عليه السلام بنحو ثلثمائة سنة دخل قسطنطين أحد ملوك اليونان في دين النصرانية وكان فيلسوفًا قبل ذلك فدخل في دين النصارى قيل تقيّة وقيل حيلة ليفسده فوضعت له الأساقفة منهم قوانين وشريعة وبدعًا أحدثوها فبنى لهم الكنائس والبيع الكبار والصغار والصوامع والهيكل والمعابد والقلايات وانتشر دين النصرانية في ذلك الزمان واشتهر على ما فيه من تبديل وتغيير وتحريف ووضع وكذب ومخالفة لدين المسيح ولم يبق على دين المسيح على الحقيقة منهم إلا القليل من الرهبان فاتخذوا لهم الصوامع في البرارى والمهامم والقفار .

واستحوذت يد النصارى على مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم وبنى هذا الملك المذكور مدينة قسطنطينية والقمامة وبيت لحم وكنائس ببلاد بيت المقدس ومدن حوران كبصرى وغيرها من البلدان بناءات هائلة محكمة وعبدوا الصليب من حينئذ وصلوا إلى الشرق وصوروا الكنائس، وأحلوا لحم الخنزير وغير ذلك مما أحدثوه من الفروع في دينهم والأصول ووضعوا له الأمانة الحقيرة التي يسمونها الكبيرة وصنفوا له القوانين وبسط هذا يطول . والغرض أن يدهم لم تزل على هذه البلاد إلى أن انتزعها منهم الصحابة رضى الله عنهم وكان فتح بيت المقدس على يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولله الحمد والمنة وقوله: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أى الحلال من الرزق الطيب النافع المستطاب طبعًا وشرعًا وقوله: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْوَيْلُ﴾ أى ما اختلفوا فى شيء من المسائل إلا من بعد ما جاءهم العلم أى ولم يكن لهم أن يختلفوا وقد بين الله لهم وأزال عنهم اللبس، وقد ورد فى الحديث: «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة ويستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة فى الجنة واثنتان وسبعون فى النار» قيل: من هم يا رسول الله قال: «ما أنا عليه وأصحابي» رواه الحاكم فى مستدركه بهذا اللفظ وهو فى السنن والمسانيد<sup>(١)</sup> ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أى يفصل بينهم ﴿يَوْمَ اتَّيَمَنُوا مِنَّا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ .

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

قاله قتادة بن دعامة: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل»<sup>(٢)</sup> وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصرى وهذا فيه تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبينهم ﷺ موجودة فى

(١) حسن: الحاكم فى مستدركه (٢/١٨١) برقم (٤٤٤) والترمذى (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو، أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذى (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد (٢٧٥١٠)، من حديث أبي هريرة، وأخرجه أحمد (١٢٠٧٠)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، من حديث أنس .

(٢) تقدم تخريجه .

الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ بَيَّضُوا لِرَسُولِ اللَّهِ الْأُخْرَى الَّذِينَ يَحْدُوثُهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الآية [الأحرف: ١٥٧]، ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾﴾ أى لا يؤمنون إيمانًا ينفعهم بل حين لا ينفع نفسًا إيمانها ولهذا لما دعا موسى عليه السلام على فرعون وملته قال ﴿رَبَّنَا أَلِمْسَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يَلِيْمُونَ ﴿١٨﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَئِن كُنَّا تُخَفِّرُهُمْ يُهْلِكُونَ﴾ [الأنعام: ١١١] ثم قال تعالى:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾

يقول تعالى فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كذبه قومه أو أكثرهم كقوله تعالى: ﴿يَحْصِرُهُ عَلَىٰ أَلْبَابِهِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠] ﴿كَذَلِكَ مَا آتَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [المداريات: ٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ سَبِيلٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] وفي الحديث الصحيح<sup>(١)</sup> «عرض على الأنبياء فجعل النبي يمر ومعه الفخار من الناس والنبي يمر معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد» ثم ذكر كثرة أتباع موسى عليه السلام ثم ذكر كثرة أمته صلوات الله وسلامه عليه كثرة سدت الخافقين الشرقى والغربى، والغرض، أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس وهم أهل نينوى وما كان إيمانهم إلا خوفًا من وصول العذاب الذى أنذرهم به رسولهم بعدما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بين أظهرهم فعندما جأروا إلى الله واستغاثوا به وتضرعوا له واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذى أنذرهم به نبيهم فعندما رحمهم الله وكشف عنهم العذاب وأخروا كما قال تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ واختلف المفسرون هل كشف عنهم العذاب الأخرى مع الدينوى أو إنما كشف عنهم فى الدنيا فقط؟ على قولين:

(أحدهما): إنما كان ذلك فى الحياة الدنيا كما هو مقيد فى هذه الآية.

(والقول الثانى): فيهما لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ بِلْقَاسِ آلِي نُونٍ أَن يَنبِئَهُمْ فِي قَوْمِهِمْ كَيْفَ عَصَىٰ آلُ اللَّهِ فَكَلَّمْنَا نُونًا فَتَنبَأُهُمْ مِنَ الصَّفَاةِ وَأَنبَأَهُمْ أَنَّ لَهُمْ عِزًّا﴾ [الأنعام: ١٥٧] فأطلق عليهم الإيمان. والإيمان منقذ من العذاب الأخرى وهذا هو الظاهر والله أعلم. وقال قتادة فى تفسير هذه الآية: لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم قذف الله فى قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا إلى الله أربعين ليلة فلما عرف الله منهم الصدق من قلوبهم

(١) البخاري (٥٧٠٥)، (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠)، بنحوه.

والتوبة والتندامة على ما مضى منهم كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم .

قال قتادة: وذكر أن قوم يونس كانوا בניنوى أرض الموصل وكذا روى عن ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف وكان ابن مسعود يقرؤها «فهلأ كانت قرية أمنت» .

وقال أبو عمران عن أبي الجلد قال: لما نزل بهم العذاب جعل يدور على رؤوسهم كقطع الليل المظلم فمشوا إلى رجل من علمائهم فقالوا: علمنا دعاء ندعو به لعل الله يكشف عنا العذاب فقال: قولوا: يا حي حين لا حي، يا محي الموتى، لا إله إلا أنت، قال فكشف عنهم العذاب. وتام القصة سيأتي مفصلاً في سورة الصافات إن شاء الله .

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّزْقَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾

يقول تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ يا محمد لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جتتهم به فآمنوا كلهم ولكن له حكمة فيما يفعله تعالى كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَمَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَاؤُونَ مَخْتَلِفِينَ إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ﴾ أى تلزمهم وتلجنهم ﴿حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أى ليس ذلك عليك ولا إليك بل الله ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [انطس: ٨]، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿لَمَّا بَدَعَ نَجْمًا كَمَا لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] ﴿فَاتَّقِ اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ وَالْعَلَيْتَ الْحَسَابِ﴾ [الرعد: ٤٠] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى هو الفعال لما يريد الهادى من يشاء المضل لمن يشاء لعلمه وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّزْقَ﴾ وهو الخيال والضلال ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أى حجج الله وأدلته، وهو العادل فى كل ذلك فى هداية من هدى وإضلال من ضل .

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنْ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٥٨﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

يرشد تعالى عباده إلى التفكر فى آلائه وما خلق الله فى السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوى الألباب، مما فى السموات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما وإبلاج أحدهما فى الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وزينتها وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الشمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب، وما فى البحر من العجائب والأمواج وهو مع هذا مسخر مذل للسالكين يحمل سفنهم ويجرى بها برفق بتسخير القدير له لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله: ﴿وَمَا تَنْتَهِ الْأَيْدِي وَالْأَنْدَادُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أى أى شىء تجدى الآيات السماوية والأرضية والرسول بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم لا يؤمنون كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧] الآية .

وقوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَارِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أى فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النعمة والعذاب إلا مثل أيام الله فى الذين خلوا من قبلهم من الأمم الماضية المكذبة لرسولهم ﴿قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَبِّئُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى ونهلك المكذبين بالرسول ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أى: حقاً أوجبه الله تعالى على نفسه الكريمة كقوله: ﴿كُتِبَ رَبِّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ .

وكما جاء فى الصحيحين <sup>(١)</sup> عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى» .

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي فَلَا آعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ آعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَأَنْ أَقْرَبَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي﴾ صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف الذى أوحاه الله إليّ فيها أنا لا ﴿آعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ آعْبُدُ اللَّهَ﴾ وحده لا شريك له وهو ﴿الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ كما أحياكم ثم إليه مرجعكم فإن كانت ألهتكم التى تدعون من دون الله حقاً فإنا لا أعبد ما فادعوا فلتضرنى فإنها لا تضر ولا تنفع وإنما الذى بيده الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله: ﴿وَأَنْ أَقْرَبَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أى أخلص العبادة لله وحده ﴿حَنِيفًا﴾ أى منحرفاً عن الشرك ولهذا قال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وهو معطوف على قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وقوله ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ الآية فيه بيان لأن الخير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه فى ذلك أحد فهو الذى يستحق العبادة وحده لا شريك له، روى الحافظ ابن عساکر فى ترجمة صفوان بن سليم من طريق عبد الله بن وهب أخبرنى يحيى بن أبوب عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم» <sup>(٢)</sup> ثم رواه من طريق الليث عن عيسى بن موسى عن صفوان عن

(١) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)، عن أبي هريرة.

(٢) ضعيف: أخرجه البيهقي فى الشعب (٤٢/٢) برقم (١١٢١)، من طريق عبد الله بن وهب، فى سننه عيسى بن موسى، وهو ضعيف، وصفوان بن سليم لم ير أنساً ولم تصح روايته عنه، انظر الجرح والتعديل (٦/١)

رجل من أشجع عن أبي هريرة مرفوعاً بمثله سواء<sup>(١)</sup>. وقوله ﴿وَهُوَ الْغَافِرُ الرَّجِيمُ﴾ أى لمن تاب إليه وتوكل عليه ولو من أى ذنب كان حتى من الشرك به فإنه يتوب عليه.

﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٥١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا بُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

يقول تعالى أمراً للرسوله ﷺ أن يخبر الناس أن الذى جاءهم به من عند الله هو الحق الذى لا مرية فيه ولا شك، فمن اهتدى به واتبعه فإنما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه، ومن ضل عنه فإنما يرجع وبال ذلك عليه ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أى وما أنا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين به وإنما أنا نذير لكم، والهداية على الله تعالى وقوله: ﴿وَأَتَّبِعْ مَا بُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ﴾ أى تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه إليك واصبر على مخالفة من خالفك من الناس ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ أى يفتح بينك وبينهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أى خير الفاتحين بعلله وحكمته.



(٢٨٥)، وتهديب التهذيب (٤/٣٧٤).

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/٤٢) برقم (١١٢٣).